التصغير وأغراضه البلاغيّة في أحاديث "مختصر صحيح مسلم" للمنذري

The miniaturization and its rhetorical purposes in the hadiths of "Mukhtasar Sahih Muslim" al-Mundhiri

أ. طريلي العربي
الأستاذ الدكتور: أحمد الشايب عرباوي

قسم اللغة والأدب العربي - جامعة الشهيد حمّة لخضر- الوادي – الجزائر

Trillilarbi7@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2020/10/07 تاريخ القبول: 2020/12/20 تاريخ القبول: 2021/03/15

ملخص:

إن ظاهرة تصغير الأسماء العربيّة لشائعة في التراث اللغوي العربي نظمه ونثره، وممّالا شكّ فيه أنّ الأصل في كلام النّاس أن ينطقوا الأسماء مكبّرة كما هو وضعهاَ وطبيعتهاَ اللغويّة، لكن قد تأتي مقامات تستدعي ضرورة أن يُصغر ويُحقّر ما الأصل فيه أن يُكبَّر ويُعظَّم تبعاَ للأغراض البلاغيّة المختلفة.

لذلك آثرناَ في هذه الورقة البحثية تتبّع واستقصاء الظاهرة في الحديث النبوي الشريف (أحاديث مختارة من "مختصر صحيح مسلم" للمنذري) كاشفين عن أسبَاب التصغير، والأغراض البلاغيّة الداعية لذلك .

الكلمات المفتاَحية : اللغة – التصغير – مقام – مُكَبَّرة – الغرض– الحديث – يُحقّر.

Abstract:

Interestingly, the phenomenon of diminishing the Arabic names is widespread in the Arab linguistic heritage, poetry and prose. Undoubtedly, the reality in the talk of people is to pronounce the names enlarged as they are and their linguistic nature, but there may come situations which lead to call for the necessity to be reduced and diminished by what the original principle is to be enlarged and glorified according to the various rhetorical purposes

Therefore, we preferred in this research paper to trace and investigate the phenomenon in the noble hadith (selected hadiths from Sahih

Muslim for Al-Mundhiri), revealing the reason behind miniaturization , and the rhetorical purposes calling for this.
Key words: language - miniaturization - denomination - enlarged - purpose - speech - despise.

مقدمة

لقد سعى النحاَة إلى التنظير في قضايا اللغة المختلفة تيسيرًا على مَن أراد طلبهاَ والبحث فيهاَ، وفي كتب النحاَة نجد أثر ذلك في قضيّة لهي إحدى القضاَياَ اللغوية الهاَمّة، ألا وهي التصغير أو التحقير في اللغة العربيّة، والأثر بارز من سيبويهِ ابتداء وإلى عصر النَاس هذا، ذلك أنّه ما من نحويّ إلاّ ويتعّرض لهذا الباب قلَّ ذلك عنده أو كثر.

ومعلوم أنّ التصغير في الكلام العربي لاحق بالأسماء خاصة، فالمكبّر أصل والمصغَّر فرع عنه وطارئ على الأصل حاَدث بعده، وطلب التصغير واللجوء إليه في الكلام العربي له أسبابَ تدفع المتكلمّ للتعبير بهذه الطريقة، وهذه الأسبابَ والدواعي تبرّرهاَ الأغراض البلاغية، والمقاصد التي أمَّها المتكلّم.

ولمّاَ كان المتكلّم في الأحاديث النبويّة الشريفة – مدونة الدراسة- النبي ﷺ في الأصل، وهومَن هو في لغة العرب – صلوات الله وسلامه عليه- أوتي جوامع الكلم، فالقضيّة تأخذ أبعادًا أخرى . ومن الإشكالات التي انبنى عليهاَ البحث وأجاَب: ماَ مدى قرار المصطلح بين التصغير والتحقير ؟ وإذا ثبت ورود الأسماء المصغرة في حديث النبي ﷺ فماَ هو حظ أحاديث مختصر صحيح مسلم للمنذري منها ؟ وماهي دواعي التصغير في ذلك؟

العرض :

أولا : التصغير في اللغة العربية

قبل أن تعرّف هذه الظاهرة اللغوية – التصغير – جدير بنا أن نثير قضية هامة تتعلق بالدرس اللغوي العربي عمومًا ، والتصغير منه على وجه الخصوص، ألا وهي اضطراب المصطلح النحوي عند العرب قديماَ وحديثاَ، وهذا شيء منه في بَاب التصغير ، ذلك أنّ بعض النحاَة عند ذكرهم لهذا البَاب والتعرض له تنظيرًا وتطبيقاَ يأتون بمصطلح التصغير في حين يفضل غيرهم التحقير ، وربّماَ زاوج بعضهم بين المصطلحين فيأتى بهذا حيناَ، وذاك حيناَ آخر.

ولمّا كان واقع ظاهرة التصغير عند النحَاَة قديمهم وحديثهم على هذه الشاكلة، نرى أنّناَ مضطرّون للتعرض للمصطلحين معاَ (التصغير والتحقير) بالكشف عن المعنى اللغوي والاصطلاحي عسى أن نبين الغموض الذي يكتنف الظاهرة.

(1)- تعريف التصغير:

أ – لغة:

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي (175ه) : "صغر الصاَغِرُ: الراضي بالضيم، وصَغُر يصغُر صغرا وصغاَرًا.

والصغَر: مصدر الصغير في القدر.

وأصغَرتِ الناَقة وأكبرت، والإصغاَرُ حنينهاَ الخفيض ، والإكباَرُ حنينها الرفيع، قالت الخنساَء:

حنِين والهِةٍ ضلّت أليفتَهاَ لَهَاَ حنينان إصغاَر وإكباَر

وتصاَغرت إليه نفسه ذلاّ ومهاَنة"[1].

وأمّاَ في (حقر) فقد قال: "حَقَر، الحَقْرُ في كلّ المعاَني: الذِلّة، حَقَر يَحْقِرُ حقْرًا وحُقْرِيَّةً. وتَحقِيرُ الكلمة: تصغيرهاَ".[2]

وقال ابنُ فاَرس (395ه): "صَغَرَ، الصاَد والغين والراء أصلٌ صحيح يدل على قلّة وحقاَرة. من ذلك الصِغَرُ ضدّ الكبرِ، والصغيرُ خلاف الكبير. والصاَغِر الراضي بالضيم صُغْرا وصَغَاَرًا. ويقال أصغرتِ الناَقةُ وأكبرت. والإصغاَر حنينهاَ الخفيض: والإكبار العالي.

قالت الخنساَء :

لهاَ حنينان إصغاَر وإكباَر "[3].

وأمّاَ في (حقر) فقد قال: "حَقَر: الحاَء والقاَف والراء أصل واحد : استصغاَر الشيء . يقال شيء حقير ، أي صغير ، أنا أحْتَقِرُهُ: أي أستصغِرُه... "[4].

ومن خلال ماَ قدّمه اللغويان الخليل وابن فاَرس حول المصطلحين "التصغير" و"التحقير " وبيان معانيهماَ يتضح التقارب الكبير بينهماَ، والذي يصل إلى حدّ التطابق في اللّغة والذي انعكس على المعنى الاصطلاحي أيضاَ.

ب – اصطلاحًا :

نقل ابن يعيش (643 ه) قول السيرافي (368 ه) في شرحه على كتاَب سِيبويه ماَ نصه: "قال الشاَرح: اعلم أن التصغير والتحقير واحد [5]، وهو خلاف التكبير والتعظيم، وتصغير الاسم دليل على صغر مسمّاه فهو حلية وصفة للاسم؛ لأنك تريد بقولك (رُجَيْل) رجلا صغيرًا، وإنماَ اختصرت بحذف الصفة وجعلتَ تغيير الاسم والزياَدة عليه علمًا على ذلك المعنى..." [6]

وقال ابن الحاجب (646ه) : " المصغر المزيد فيه ليدل على تقليل " [7].

وقال صاَحب الوافية في نظم الشاَفية :

مُصَغَّر الأسماء ماَ يُزادُ فيه لتقليل به يُرَادُ [8]

وقال ابن الخبازَ (639 ه) " التصغير والتحقير بمعنى واحد ، وهو من خصائص الأسماَء؛ لأنّ تصغير الاسم بمنزلة وصفه بالصغر، فقولنا : ثُوَيْب بمنزلة قولناَ : ثَوبٌ صَغيرٌ "[9] .

لقد ظهر في التعاَريف الاصطلاحية للتصغير تأكيد التطاَبق بين المصطلحين التصغير والتحقير الذي أشاَر إليه المعجميون من قبلُ، علمًا أنّ الخليل أول من تكلَم في التصغير[10] . وهو نحوي في طبقة متقدمة من طبقات النحاَة البصريين .

ومن تعريف السيرافي - شاَرح الكتاب لسيبويهِ - الذي ينقله ابن يعيش تظهر لناَ فائدة التصغير والمتمثلة في الاقتصاد اللغوي ، والإيجاز ، وهو أمر مطلوب في هذه اللغة الشريفة ؛ حيث قال : تريد بقولك : (رُجَيْل) رجلا صغيرًا. فزيادة ياَء التصغير في (رجل) أغنت عن صفة (صغير) وقد فهُم القصد .

وأمّاَ قول ابن الحاجب المتقدّم: المصغّر المزيد فيه ليدلّ على تقليل. فربّماَ يوهم بشيء من التناقض عند البعض لكونه جمع بين الزيادة والتقليل في اللفظ، فإنيّ أكشف ما رمى إليه وهو أنّ كلمة المزيد في تعريفه يقصد بهاَ زيادة ياَء التصغير على أصل بنية الكلمة المصغرة مثل : (رجُل – رُجَيل) كانت ثلاثة أحرف قبل التصغير فزيدت اليَاء فأصبحت أربعة، وأمّا لفظ "تقليل" فهذا محمول على المعنى والمقصد، وهو يشير بصفة عامة إلى الأغراض البلاغية من هذا الإجراء .

وأما ذكر ابن الخباز أنه من خصائص الأسماء فهذا الأصل والشائع عند النحاَة، لكن ما يستو قفناَ هنا قول الملا عصام الإسفراييني – نحوي مكي (1073 ه) – في الألغاز النحوية :

وحكموا للفعل بالتصغير كلهّم من غير ماَ نكير

والقضيّة المعالجة هناَ دخول التصغير على أفعل التعجب مثل قولناَ: ما أحسن زيدًا، فالكوفيون جوزوا تصغيره على أنه اسم، ونص البصريون على جواز تصغيره وإن كان عندهم فعلا، حملاً له على اسم التفصيل لشبهه به وزناَ وأصلا وإفادة للمبالغة. وقد أشار لنقل الإجماع في هذه المسألة ابن هشام وغيره [11].

(2) – أبنية التصغير :

لمّا كان المقام لا يسمح لناَ ببسط الموضوع كليّةً، وذلك الأمر قد يُبعد في استيعاب الغرض الأساسي للبحث فقد اقتصرناَ على ماَ تقوم به الحاَجة.

قال سيبويه: هذا باب التصغير "واعلم أن التصغير إنماَ هو في الكلام على ثلاثة أمثلة: على فُعَيْل، وفُعَيْعِل، وفُعَيْعِيل. فأمّا فُعَيل فلما كان عدة حروفه ثلاثة أحرف، وهو أدنى التصغير لا يكونُ مُصَغر على أقلَّ من فُعَيْل، وذلك نحو: قُيَيْس، وجُمَيْل، وجُبَيْل . وكذلك جميع ماَ كان على ثلاثة أحرف .

وأما فُعَيْعِل فلماَ كان على أربعة أحرف وهو المثال الثاني ، وذلك نحو: جُعَيْفِر ومُطَيْرِف، وقولك في سِبَطْر: سُبَيْطِر، وغُلاَم: غُلَيّم، وعُلَبِطٍ: وعُلَيْبِط. فإذا كانت العدّة أربعة أحرف صار التصغير على مثال فُعَيْعِل، تحركن جُمَعَ أو لم يتحرّكن؛ اختلفت حركاتهنّ أو لم يختلفن، كما صار كل بناء عدّة حروفه ثلاثة على مثال فُعَيل، تحركن جُمَعَ أو لم يتحركن، اختلفت حركاتُهنّ أو لم يختلفن.

وأمّاَ فُعَيْعِيل فلماَ كان على خمسة أحرف، وكان الرابع منه واوًا أو ألفاَ أو ياَءً، وذلك نحو قولك في مصباح: مُصَيبيح؛ وفي قنديل: قُنَيْديل، وفي كُرْدُوس: كُرَيدِيس، وفي قَرَبُوس: قُرَيبيس، وفي حَمَصِيص: حُمَيْصِيص، لا تبالي كثرة الحركات ولا قلتها ولا اختلافها "[12].

وقال أبو سعيد– السيرافي شارح الكتاب (368 هـ)_ : " ماَ ذكره سيبويه في أصل البابَ أنّ التصغير في الباب على ثلاثة أمثلة، (فُعَيْل)، و(فُعَيْعِل)، و (فُعَيْعِيل)، ولو ضمّ إلى هذا وجهاَ رابعًا لكان يشتمل على التصغير كله، وذلك (أُفَيْعَال)، نحو قولناَ: (أجمال) و(أُجَيْمال).

و (أَنْعاَم) و (أُنَيْعَام)، وسائر ما كان على (أَفْعَال) من الجمع، وأمّا (فُعَيْلاَن) و(فُعَيلاَء) و(فُعَيْلَى)، وما كان في آخره هاء التأنيث، فصدور هذه الأشَياء من الثلاثة التي ذكرها. وإنماَ النقص في (أفُيعَال)"[13] .

وإذاً، كان هذا تقرير وتنظير سيبويهِ في أبنية التصغير التي جعلهاَ إجمالاً على ثلاثة :

(فُعَيْل _ فُعَيْعِل_ فُعَيْعِيل)، ووافقه في ذلك أبو سعيد السيرافي، واستدرك عليه مثلاً رابعاَ خاَصًّاَ بصيغة الجمع، وهو (أَفْعَال) وتصغيره (أُفَيْعال)، وقد تقدّم التمثيل لذلك .

وممن أجاَدوا في تلخيص مسألة أبنية التصغير نجد ابن مالك (672 هـ) _ رحمه الله _ في ألفيته المسماَة الخلاصة في النحو إذْ نظم مقررًا[14]:

(فُعَيْلاً) اجْعَل الثلاثيّ إذَا صَغَّرْتهُ، نَحْوُ (قُذَيّ) في (قَذَى)

(فُعَيْعِل) مع (فُعَيْعِيل) لِمَا فاق، كَجَعل (دِرْهَم) (دُرَيْهِماَ)

فقد تاَبع سيبويه في ذلك، ثم بسَط الأمر فأعقب الإجمال بالتفصيل، ووضّح وصرّح بماَ استدركه السيرافي إذ وصل كلامه في المسألة حتى انتهي الي قوله:

كَذَاك مَدّة (أَفْعَال) سَبَق[15]. وهو يقصد تصغير (أَفْعَال) يكون على (أُفَيْعاَل).

(3)- الأغراض البلاغية للتصغير :

إذا كان الأصل في المتكلّم أن يأتي بالكلماَت على أصلهاَ مُكَبَّرَة فإنه إذا لجأ إلى تصغيرهاَ حتماَ لديه غاَياَت ومقاَصد في ذلك عُرِفت عند البلاغيين والنحاَة بالأغراض البلاغية .

وفي هذا الشأن يقول القاَضي ابن عقيل (769 هـ) _رحمه الله _:

" للتصغير خمس فوائد هي :

الأولى : تصغير ما يتوهَّم كِبَرَه نحو : جُبَيْل، تصغيرُ جَبَل .

الثانية : تحقير ماَ يُتوهَّم عِظَمه نحو: سُبَيع، تصغيرُ سَبع .

الثالثة : تقليل ما يُتوهَّم كثرته نحو: دُرَيْهِماَت، تصغيرُ جمع دِرْهم .

الرابعة : تقريب ما يُتوهَّم بُعدُه : إمّاَ في الزمن نحو : قُبَيل العصر، وإمّاَ في المكان نحو : فُوَيْقَ الدار، وإمّاَ في الرتبة نحو : أُصَيْغر مِنْكَ .

الخاَمسة : التعظيم، كماَ في قول لبيد بن ربيعة العامريّ :

وكُلُّ أناَس سوف تدخُلُ بينَهم دُوَيْهِيَة تَصْفَرُّ مِنْهاَ الأناَملُ

وأنكر هذه الفاَئدة البصريون، وزعموا أن التصغيرَ لا يكون للتعظيم؛ لأنّهماَ متناَفياَن"[16].

ورأى بعضهم فائدة ساَدسة : وهي التحبُّب، نحوُ، بُنَيّ وبُنَيّة، وأُخَيّ وأخَيَّة[17].

ومعلوم أنّ تحديد الأغراض أمر اجتهاَديّ نسبيّ، فقد يتفق الجمع من النحاَة القدامى والمحدثين في تحديد الأغراض البلاغية العامة للتصغير، وهذا واقع هذه المسألة، وقد تكون هناك رؤى أخرى استثناَئية عند بعضهم، ولمّا شرع باَب الاجتهاَد والأمر سائغ فلا حصر ولا حجر حينئذٍ.

ثانيا : التصغير وأغراضه في أحاديث "مختصر صحيح مسلم " للمنذري

الحديث: 288 عن ابن عباس - رضي الله عنهما- قال: إنَّ أمَّ الفضلِ بنتَ الحارثِ سَمِعَته وهو يقرأ﴿ والمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴾ فقالَت: يَا بُنَيّ لقد ذكَّرْتَني بقراءَتك هذه السورة؛ إنّهَا لآخر ما سَمِعتُ رسول الله ﷺ يقرأ بها في المغرب[18].

الشاهد: كلمة " بُنَيّ"، وهي مصغَّرة عن "ابن" على مثال (اسم - سُمَي) يقول الزمخشري(538ه): " وتقول في(اسم وابن) (سُمَيّ ، وبُنَيّ) فَتُرَدّ اللام الذاهبة، وتستغني بتحريك الفاء عن الهمزة"[19].

وفي الحديث النبوي الشريف عموماً موجودة هذه الكلمة المصغَّرة (بُنَيّ) بكثرة. وقد قالو: إنّهاَ الكلمة الوحيدة المصغَّرة في القرآن الكريم إذا ما استثنينا كلمة " عُزَيْر" والتي في تصغيرها جَدَل[20].

أمّا عن هذا الحديث والسياق الذي وردت فيه كلمة "بُنَيّ" فقد تعجبت أمّ الفضل –رضي الله عنها- لمَّا سمعت الأمر مطابقا لما سمعته آخر عهدها برسول الله ﷺ.

وأمّ الفضل صحابية جليلة - رضي الله عنها- وهي أم ابن عباس-رضي الله عنهما – لكنّهَا تكنّى بأمّ الفضل، والفضل أخوه، كما أن أباه العباس عمُّ رسول الله ﷺ يكنَّى به أيضا فيقال أبو الفضل.

فأمُّ الفضل بعد سماعها لقراءة ابنهَا - ابن عباس رضي الله عنهما المطابقة لقراءة ﷺ قالت " يَا بُنَيّ" فنادته بصيغة التصغير.

قال الإثيوبي في شرحه للحديث" بُنَيّ" تصغير ابن، تصغير تلطّف وتعطّف[21].

وإذا، فإن تصغيرها لكلمة "ابن" على" بُنَيّ" له أسباب يتضح بذكرها الغرض البلاغي:

أولها: أنَّها أمُّه، وعاطفة الأمومة سارية على الخلق، فتخاطبه بهذه الكلمة المحفوفة بالرقّة والتلطف.

ثانيها: أنه صغير السنّ، والكبير عمومًا يتوقع منه مخاطبة من يصغره بشيء من التحبّب والتلطف.

ثالثها: هذا الرجل ابن عباس -رضي الله عنهما- ابن عمّ رسول الله ﷺ وهو محبّب للرسول ﷺ، ويحبه الصحابة لحب رسول الله ﷺ له، فهو قدوتهم وإسوتهم، حتى إنه ﷺ قد دعَا له: ((اللهم فقهه في الدين وعلّمه التأويل))[22]. وقد كان -صلوات الله وسلامه عليه- يزورهم في بيتهم، لقرابة الدم، والدين.

الحديث: 1610 عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: كان موسى -عليه السلام- رجلا حييًّا. قال: فكان لا يُرَى مُتَجَرِّدًا. قال: فقال بنو إسرائيل: إنه آدَرُ. قال: فاغتسل عند مُوَيه، فوضع ثوبه على حجر، فانطلق الحجر يسعى، وأتبعه بعصاه يضربه: ثوبي حجر! ثوبي حجر! حتى وقف على ملأ من بني إسرائيل.

ونزلت ﴿ يآأَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالذِينَ ءَاذَوْا مُوسى فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوْا وَكَانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهًا﴾[23]. الأحزاب/69.

الشاهد: كلمة "مُوَيْه" في قوله " فاغتسل عند مُوَيْه".

قال ابن الأثير: "مُوَيْه" فيه كان موسى عليه السلام يغتسل عند مُوَيْه، وهو تصغير ماء، وأصل الماء مَوَهٌ، ويجمع على أمواه ومياه، وقد جاء أَمْواء. فالنسب إليه ماهيّ ومائيّ، على الأصل واللفظ[24].

ومُوَيْه تصغير لفظ ماء الثلاثي الممدود، لكن هذه الهمزة ليست أصلية، وفي التصغير -على ما قرر أهل النحو والصرف- ترد الحروف الأصلية للكلمة كما تقول: شاة شُوَيْهَة. قال ابن مالك: [25]

وَكَمِّل الْمَنْقُوصَ في التَّصْغِيرِ مَا لَمْ يَحْوِ غَيْرَ التَّاء ثَالِثا، كـ(مَا)

قال في الحاشية: المنقوص يريد به ما حذف منه حرف، لا المنقوص القياسي كالقاضي، و(ما) في آخر البيت يريد على الصحيح -كـ- مَاءٍ، وهو الماء الذي يُشرب يُصغَّر على مُوَيْه[26].

ولقد صغرت كلمة "ماء" على "مُوَيه " لتدل على أنه ماء قليل.

الحديث: 374 عن زيد بن ثابت قال: احتجر رسول الله ﷺ حُجَيْرَة بِخَصَفَة أو حَصِير. فخرج رسول الله ﷺ يصلي فيها. قال: فتتبع إليه رجال وجاءوا يصلون بصلاته. قال: ثم جاءوا ليلة فحضروا. وأبطأ رسول الله ﷺ عنهم. قال: فلم يخرج إليهم. فرفعوا أصواتهم وحصبوا الباب. فخرج إليهم رسول الله ﷺ مُغْضَبًا. فقال لهم رسول الله ﷺ " مازال بكم صنيعكم حتى ظننت أنّه سيُكتب عليكم. فعليكم بالصلاة في بيوتكم. فإن خير صلاة المرء في بيته إلاّ الصلاة المكتوبة"[27].

وفي رواية أن النبي ﷺ اتخذ حُجرة في المسجد من حصير.

الشاهد: "حُجَيرة ". قال صاحب السراج الوهاج: احتجر رسول الله ﷺ حُجيرة بضم الحاء تصغير حُجْرَة...[28]

وجاء في المصباح المنير: "الحُجْرة أي -بضم فسكون- البيت، والجمع حُجَر وحُجُرات ، مثل غُرَف وغُرُفات في وجوهها"[29].

وقال ابن الأثير: وفي حديث آخر ((أنه احتجز حُجَيرة بخَصَفَة أو حصير)) الحجيرة تصغير الحجرة، وهو الموضع المنفرد.[30]

فالعامل المتقدم ذكره احْتَجَر على وزن افْتَعَل يدل على أنه ﷺ قام بالفعل بنفسه، ثم إن التصغير هنا -حُجَيرة على وزن فُعَيل الثلاثي- مناسب تماما؛ ذلك أن المسجد مساحته لا تناسب البيوت أو الحجرات الكبيرة، والمقصد معلوم للاستتار والصلاة فيها.

وإذا، حُجيْرة تصغير يدل على صغر المساحة.

الحديث:1414 عن أنس بن مالك ﷺعنه، قال: ((كان رسول الله ﷺ أحسنَ الناس خُلُقًا، وكان له أخ يقال له: أبو عُمَيْر (قال: أحسبُه قال:) كان فَطِيما قال: فكان إذا جاء رسول الله ﷺ، فرآه قال:(أبا عُمَيْر !مَا فَعَل النُغَير؟) قال: فكان يلعب به))[31].

الشاهد: "النُّغَيْر" وهو تصغير نُغْر. من ضروب الثلاثيّ (فُعْل- فُعَيْل).

قال ابن الأثير: فيه" أنه قال لأبي عُمَيْر أخي أَنَس: يا أبا عُمَير ،ما فعل النُغَير ؟" هو تصغير النُّغر، وهو طائر يشبه العصفور، أحمر المنقار ، ويجمع على نِغران[32].

وقال النووي: " أمّا النغير فبضمّ النون تصغير النُّغَر بضمّها وفتح الغين المعجمة وهو طائر صغير جمعه نغران ..."[33]

وقال الإثيوبي: " قال الخطابي النُغَير طُوَيْر له صوت. وفيه نظرَ!

وقال عياض: النُغَير :طائر معروف، يشبه العصفور ،وقيل: هي فراخ العصافير وقيل: هي نوع من الحُمَّر بضمّ المهملة وتشديد الميم ،ثم راء ،قال: والراجح أنَّ النُغَير طائر أحمر المنقار. انتهى .

وهذا هو الذي جزم به الجوهري وغيره من أهل اللغة "[34].

وغرض الرسول ﷺ وقصده بهذه الكلمة المصغّرة "النُغَير "في هذه العبارة المسجوعة "أبا عُمَيْر ما فعل النُغَيْر ؟"هو التلطف مع الصغار والشفقة عليهم والمزاح معهم ، كيف لا وقد تقدمت عبارة الراوي أنس -رضي الله عنه- "وكان أحسن الناس خلقا" وقد قال جل وعلا: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيم﴾ القلم 4. والنبي ﷺ قد أوتِيَ جوامِعَ الكَلِم فأتى باللفظ مسجوعا مع ما قبله ما يزيد في حسن وجمالية الكلام- من غير تكلف- ليناسب المقام، مقام إظهار التحبّب لأبي عُمَير !.

الحديث:1500 عن سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه-أن النبي ﷺ أمر بقتل الوزغ، وسماه "فُوَيْسِقًا "[35].

الشاهد: "فُوَيْسِقًا " وهو تصغير فَاسِق ، وما كان على وزن (فاعِل) فإنّ تصغيره يكون على وزن (فُوَيْعِل). قال الحريري:[36]

وفَاعِلُ تصغيره فُوَيْعِل كقولهم في رَاحِل رُوَيْحل

قال ابن الأثير: "ومنه الحديث ((أنه سمّى الفأرة فُوَيْسِقَة)) تصغير فاسِقَة لخروجها من جحرها عل الناس وإفسادها "[37].

وقال صديق بن حسن خان: " ...وأمر النبي ﷺ بقتله -أي الوزغ- وحثّ عليه ورغّب فيه؛ لكونه من المؤذيات ، وسماه فُوَيْسِقا"[38].

وقال الاثيوبي: "وسماه فُوَيْسِقا "بالضم تصغير فَاسِق، وهو للتحقير لإلحاقه ﷺ له بالفواسق الخمس[39] .

وقد ذهب بعضهم إلى أنّ التصغير هنا للتعظيم؛ وذلك لِعِظم ضَرَرِه، والظاهر أنه للتحقير كما تقدم لما أُلحِق بالفواسق ، فمعنى الفسق منبوذ ، ولمَّا حُقِّر نُبِذ.

الحديث: 1582عن أنس -رضي الله عنه - قال: كان رسول الله ﷺ من أحسنِ الناسِ خُلقًا، فأرسلني يومًا لحاجة، فقلت: والله لا أذهبُ، وفي نفسي أن أذهب لما أمَرَني به نَبي الله ﷺ، فخرجتُ حتى أمرّ على صبيان، وهم يلعبون في السوق، فإذَا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي. قال: فنظرت إليه وهو يضحَكُ، فقال: "يَا أُنَيْسُ ! أذَهبْتَ حيثُ أمرتُكَ ؟"قال: قلتُ: نَعَمْ أنا أذهبُ يا رسول الله!

قال أنس: واللهِ، لقد خدمتُه تِسعَ سنين ما علمتُه قال لشيءٍ صنعته: لما فَعَلتَ كذا وكذا؟ أو لشيء تركته:" هَلاَّ فعلتَ كَذَا وكَذَا))[40].

الشاهد : "أُنَيْس " في قوله ﷺ" يَا أُنَيْسُ! أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟" وَأُنَيْسُ تصغير أَنَس، وهو من باب الثلاثي (فَعَلَ فُعَيْل).وأنس علم على الرجال، يقول ابن مالك:[41]

اِسْمٌ يُعَيِّنُ المُسَمَّى مُطْلَقَا عَلَمُهَ، ك (جَعْفَرٍ وَخِرْنِقَا)

يعني يعيّن ويُحدِّد مُسَمَّاه مُطْلَقا دون قرينة وقيْدٍ.

وقال الإثيوبي :"يَا أُنَيْسُ "صغرهُ للملاطفة.[42]

وواضح من سياق الكلام في الحديث دلالة منطوق ومفهوم أنَّ أنس بن مالك -ﷺ- كان صغيرا، وقد أرسله الرسول ﷺ في حاجة، فلم يذهب، بل حَلَف بقوله: "والله لا أذهب". فهذا لا يكون من خادم رسول الله ﷺ في كبر ووعي وتمييز. وهو من هو - ﷺ- والنبي ﷺ لم يعَاتِبْه ولم يُعَنِّفْهُ، بل ذهب يلاطفُه ويَرِقُّ له تحبُّبًا؛ لذا أجاد بما يناسب المقام حيث صغَّر اسمه، قال: أُنَيْسُ، والتصغير هنا أسبابه كثيرة:

منها أنَّ أَنَسًا كان صغيرا في العمُرِ.

ومنها قربه من النبي ﷺ.

ومنها حسن خلق النبي ﷺ الذي يعامل به الكبير فضلا عن الصغير القريب.

ومنها أن الرسول ﷺ له سابقة في هذا الأمر ؛ذلك أنه قد لاطف وداعب أخا أنس بن مالك لمّا كان صغيرا وقد قال له: "يا أبَا عُمَيْر مَا فَعَلَ النُغَيْر ؟!"

الحديث:1669 عن عائشة -رضي الله عنها- أنّها قالت: جلس إحدى عشرة امرأة فتعاهدن وتعاقدْنَ أن لا يكتمن من أخبار أزواجهنّ شيئًا:

قالت الأولى: ...

قالت الحادية عشرة: ((زوجي أبو زرع، فما أبو زرع ؟ أنَاسَ من حلّي أُذنيّ، وملأ من شحم عضديّ، وبجّحَنِي فَبَجَحَتْ إليّ نفسي، وجدني في أهل غُنَيْمَة بَشِقٍّ، فجعلني في أهل صهيل وأطيطٍ ودائس ومُنَق ...الحديث . وفي آخره، قالت عائشة: قال رسول الله ﷺ " كُنْتُ لَكِ كأبي زَرْع لِأُمِّ زَرع))[43].

الشاهد: "غُنَيْمَة "وهي تصغير غنم، من باب الثلاثي(فَعَل فُعَيْل) ثم زيد التاء للدلالة على التأنيث .

قال ابن الأثير: وفيه ((السكينة في أهل الغنم)) قيل: أراد بهم أهل اليمن؛ لأن أكثرهم أهل غنم، بخلاف مُضَر وربيعة؛ لأنّهم أصحاب إبل.[44]

وقال الإثيوبي: " وجدني في أهل غُنَيْمة " بالغين المعجّمة والنون مُصَغَّرا.[45]

وقال: " فجعلني في أهل صهيل" أي خيل، و"أطيط" أي إبل ... وأصل الأطيط: صوت أعواد المحامل والرحال على الجمال... تشير بذلك إلى رفاهيتهم، "ودائس " اسم فاعل من الدوس... قال ابن السكّيت: الدائس الذي يدوس الطعام ... فكأنّها أرادت أنهم أصحاب زرع، و"مُنَقّ" بضمّ الميم، وفتح النون، وتشديد القاف، ومنهم من يكسر النون. قال ابن أبي أُوَيْس: المُنِق

بالكسر: نقيق أصوات المواشي، تصف كثرة ماله، وقال أبو سعيد الضرير: هو بالكسر من نقيقة الدجاج، يقال: أنقَّ الرجلُ إذا كان له دجاج .

وقال القرطبي: لا يقال لشيء من أصوات المواشي: نقّ، وإنّما يقال نقّ الضفدع، والعقرب، والدجاج.[46]

والغَرضُ من التصغير هنا (غَنَمَ، غُنَيْمة) لتدل على أنّ الغنم أضعف الأموال وأصغرها، وهي التي يملكها أهلها في الجبال قبل زواجها بأبي زرع، وقد أشارت إلى قلّتها أيضًا لمَّا صَغَّرت وقالت "غُنَيْمة" ، أعني قلّة عدد .

وأبو زرع كان قد نقلها من شظف العيش وضيقه إلى الثروة الواسعة المتعددة والمتنوعة من خيل وإبل ومواش ودواجن و زرع .

الحديث: 1537 -عن عبادة بن الوليد عن عبادة بن الصامت ﷺ:... قال " ... سرْنا مع رسول الله ﷺ، حتى إذا كان عُشَيْشَيَةٌ ودنونا ماءً من مياه العرب ..."[47] الحديث .

الشاهد: " عُشَيْشِيَةٌ".

قال الفيروزآبادي: "(عشا): والعشيُّ والعشِيَّةُ آخر النهار، ج عشايَا وعشِيًّا... ولقيته عُشَيْشَة وعُشَيْشَانَا وعُشَّانا وعُشَيْشِية و عُشَيْشِيَّات وعُشَيْشِيَانَات "[48] .

وقال ابن الأثير: وفي حديث جندَب الجهني: ((فأتينا بطنا الكديد فنزلنا عُشَيْشِيَة)) هي تصغير عَشِيّة على غير قياس، أُبدل من الياء الوسطى شين كأنّ أصلها عُشَيِّيَة .

يقال: أتَيْتُه عُشَيْشِيَة، وعُشْيَّانًا، وعُشَّيَانَة، وعُشَيْشِيَانَا.[49]

وقال صديق بن حسن خان: "سرنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كان عُشَيْشِيَةً "

هكذا الرواية فيها على التصغير مخففة الياء الأخيرة، ساكنة الأولى.

قال سيبويه: صغروها على غير تكبيرها، وكان أصلها "عُشَيِّيَة" فأبدلوا من الياء الوسطى شينا.[50]

والغرضُ من التصغير هنا تصغير لفظ الزمان المعنى فيه محتمل ؛ فقد يكون قصده تقريب الزمان . يعني في أول وقت العشيّ، وقد يكون القصد آخر الوقت فيه.

وقد قال بعضهم أن العشي من الزوال إلى أول الظلمة.

خاتمة:

إنَّ المتتبع لأحاديث النبي ﷺ يدرك حقيقة معنى أنّه أوتِيَ جوامِعِ الكلم، يظهر ذلك في خطاباته التي تميزها الأساليب البلاغية المختلفة التي تحقق المقصد والجماليّة في آن واحد .

وقد شاعت ظاهرة التصغير في أحاديثه – صلوات الله وسلامه عليه – بارزة في أبنية التصغير المختلفة التي درجت عليها العرب في كلامها، والنبي ﷺ كان قد أظهرها في المقامات التي

تستدعيها؛ ذلك أنّ المتكلم ينتقي من الكلمات من يحقّق له غرضه وقصده، فالعدول عن أصل الكلمة المكَبَّر والأخذ بتصغيرها من هذا الباب .

وأحاديث "مختصر صحيح مسلم" للمنذري احتوت على ثمانية عشر بناء وصيغة تصغير، وأغلبها من باب الثلاثيّ بين المذكّر والمؤنّث فيه، وربّما ورد في بعض الصيغ ما يشكّل استثناء مثل كلمة "عُشَيْشِية " فقد نقلوا عن سيبويهِ أنّهم صغَّروها على غير تكبيرها. فأصلها "عَشِيّة والقياس عندهم في تصغيرها عُشَيّيَة.

ومهما يكن من أمر فإنَّ النبي ﷺ تظهر في أدائه المثاليّة في وضع الكلمات خاصة منها المصغّرة التي تخدم أغراضا بلاغيّة معيّنة بحسب المقامات المختلفة.

هوامش :

[1]- الخليل بن أحمد الفراهيدي،العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السآمرائي (دد)، (دط)،(دت)،372/4.

[2]- نفسه، 43/3 .

[3]- ابن فارس، معجم مقآييس اللغة، تحقيق : عبد السلام هارون، دار الفكر،(دط)، 1399ه/1979 م، /290 .

[4]- نفسه، 90/2.

[5]- وهو قول ابن الخباز أيضاَ ((التصغير والتحقير بمعنى واحد ، وهما مصدرا (صغّر وحقّر) .

وانظرَ: ابن الخبآز، الغرّة الخفيّة في شرح الدرة الألفية في علم العربية، تحقيق وتعليق : محمد مصطفى الخطيب الزملكآني، دار الكتاب العلمية، بيروت _ لبنان، ط 1، 2019 م، ص 430.

[6]- ابن يعيش، شرح المفصل، صححه وعلق عليه جمآعة من العلمآء بعد مراجعة على أصول خطية بمعرفة مشيخة الأزهر المعمور، إدارة الطباعة المنيرية بمصر بشآرع الكحكيين رقم1، (دط)، (د ت) 113/5.

[7]- ابن الحآجب، الشآفية في علم التصريف، تحقيق: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت _ لبنان، ط1، 1429 ه/ 2008 م، ص27.

[8]- نفسه، ص 119.

[9]- ابن الخبآز، توجيه اللمع شرح كتاب اللمع لابن جنّي، تحقيق: فايززكي محمد ذيآب، دار السلام، ط 2، 1428 ه /2007 م، ص 549.

[10]- ابن حمدون حاشية ابن حمدون على شرح المكودي، دار الفكر، بيروت– لبنان، ط2، 1421ه /2001م، 2/ 236.

[11]- الملا عصام الإسفراييني، شرح منظومة الألغاز النحوية، تحقيق: علي حسن البواب، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد – الظاهر، (د ط) ، 1419ه / 2000 م، ص:22 ، اللغز :21.

[12]- سيبوية، الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة القاهرة، (دط)، 1412ه/ 1992م، 3/415-416.

[13]- السيرافي، شرح كتاب سيبويه، تحقيق: أحمد حسن مهدلي وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 2008م، 165/4 -166.

[14]- ابن مالك الأندلسي، ألفية ابن مالك في النحو والتصريف المسماَة الخلاصة في النحو، تحقيق: سليمآن ابن عبد العزيز بن عبد الله العيوني، مكتبة دار المنهاج، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط1، 1432ه، ص 168.

[15]- نفسه، ص 169.

[16]- ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، دار الفكر، بيروت – لبنان، (دط)، 1429-1430ه / 2009م، مجلد : 2،493/4.

[17]- محمد أسعد النادري، نحو اللغة العربية، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت– لبنان، ط1، 1422ه / 2002م، ص200.

[18]- المنذري، مختصر صحيح مسلم، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط6،1407ه /1987م، 82/1 .

[19]- الزمخشري، المفصّل في صنعة الإعراب، تحقيق: خالد إسماعيل حسان ورمضان عبد التواب، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 2، 1430 ه/2009 م، ص 257.

[20]- محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، (دط)، 1984 م، 167/10-168.

[21]- الإيثيوبي محمد بن علي بن آدم بن موسى الولوى، البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار ابن الجوزي، الدمام- المملكة العربية السعودية، ط1، 1436ه، 483/10.

[22]-الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياَض، ط1، 1436ه/1996م ، 6: 173. ويقول الألباني في تخريجه :"قلتُ وصححه الحاكم،(534/3) و وافقه الذهبي"، وحكم بصحّته بتمامه.

[23]- المنذري، مختصر صحيح مسلم ،426/2.

[24]- ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، المكتبة الإسلاميّة، تحقيق: محمود محمد الطناحي، (د ب)، (د ط)، (د ت)، 373/4_ 374.

[25]- ابن مالك، ألفية ابن مالك، ص 169.

[26]- نفسه، ص 169- 170. الحاَشية.

[27]- المنذري، مختصر صحيح مسلم، 103/1.

[28]- صديق بن حسن خان القنوجي البخاري، السراج الوهاج من كشف مطالب صحيح مسلم ابن الحجاج، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، (د د) _ قطر، (د ط)، (د ت)، 41/3.

[29]- الفيومي، المصباَح المنير، مكتبة لبنان، بيروت _ لبنان، (د ط)، 1987 م، ص 47.

[30]- ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث الأثير، 342/1.

[31]- المنذري ، مختصر صحيح مسلم ، 373/2.

[32]- ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 5/ 86.

[33]- النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، المطبعة المصرية بالأزهر، ط 1، 1347هـ / 1929 م، 129/14.

[34]- الإثيوبي، البحر المحيط الثجاج، 382/35.

[35]- المنذري، مختصر صحيح مسلم، 2/ 395.

[36]- بحرق الحضرمي، تحفة الأحباب وطرائف الأصحاب على ملحة الإعراب وسنخة الآداب للحريري البصري، دار الفكر، بيروت _ لبنان، (د ط)، 1420هـ / 2000 م، ص 36.

[37]- ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 3/ 446.

[38]- صديق بن حسن خان القنوجي، السراج الوهاج، 415/8.

[39]- الإثيوبي، البحر المحيط الثجاج، 517/36.

[40]- المنذري، مختصر صحيح مسلم، 419/2.

[41]- ابن مالك، ألفية ابن مالك، ص 79.

[42]- الإثيوبي، البحر المحيط الثجاج، 37/ 435.

[43]- المنذري، مختصر صحيح مسلم، 2/ 442_444.

[44]- ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 446/3.

[45]- الإثيوبي، البحر المحيط الثجاج، 147/39.

[46]- نفسه، 147/39_148.

[47]- المنذري، مختصر صحيح مسلم، 2/ 406_ 410.

[48]- الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تحقيق الهوريني، دار الكتاب العلمية، بيروت _ لبنان، ط2، 1428/ 2007م، ص 1318.

[49]- ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث الأثر، 3/ 243.

[50]- صديق بن حسن خان القنوجي، السراج الوهّاج، 551/8.

المصادر والمراجع:

- ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، المكتبة الإسلامية، تحقيق: محمود محمد الطناحي، (دب)، (د ط)، (د ت).
- الإثيوبي، محمد بن علي بن آدم بن موسى الولوي، البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار ابن الجوزي، الدمام- المملكة العربية السعودية،ط1، 1436هـ.
- الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1416هـ/ 1996م،مج6.

- بحرق الحضرمي، تحفة الأحباب وطرائف الأصحاب على ملحة الإعراب، وسنخة الآداب للحريري، دار الفكر، بيروت- لبنان: (دط)، 1420ه/ 2000م.
- ابن الحاجب، الشافية في علم التصريف، تحقيق: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت- لبنان، ط1، 1429ه / 2008م.
- ابن حمدون، حاشية أبي العباس سيد أحمد بن محمد بن حمدون بن الحاج على شرح المكودي، دار الفكر، بيروت- لبنان، ط2، 1421ه/ 2001م.
- ابن الخباز، توجيه اللمع شرح كتاب اللمع لابن جني، تحقيق: فايز زكي محمد ذياب، دار السلام، ط2، 1428ه/ 2007م.
- ابن الخباز، الغرة المخفية في شرح الدرة الألفية في علم العربية، تحقيق وتعليق: محمد مصطفى الزملكاني، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 2019م.
- الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، (دد)،(دط)، (دت).
- الزمخشري جار الله محمود بن عمر، المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق: خالد إسماعيل حسان ورمضان عبد التواب، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 1430ه/ 2009م.
- سيبويه أبو بشير عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، (دط)،1412ه/ 1992م.
- السيرافي أبو سعيد الحسن بن عبد الله المرزبان، شرح كتاب سيبويه، تحقيق: أحمد حسن مهدلي وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 2008م،مج4.
- صديق بن حسن خان القنوجي البخاري، السراج الوهاج من من كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، (دد)،قطر، (دط)، (دت).
- ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، دار الفكر، بيروت- لبنان، (دط)، 1429ه-1430ه/ 2009م، مج2.
- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر،(دط)، 1399ه/1979م.
- الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تحقيق: نصر الهوريني، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط2، 1428ه/ 2007م.
- الفيومي، المصباح المنير، مكتبة لبنان، بيروت- لبنان، (دط)، 1987م.
- ابن مالك، ألفية ابن مالك في النحو والتصريف، تحقيق: سليمان ابن عبد العزيز بن عبدالله العيوني، مكتبة دار المنهاج، الرياض- المملكة العربية السعودية، ط1، 1432ه.

- محمد أسعد النادري، نحو اللغة العربية، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت- لبنان، ط1، 1422هـ/ 2002م.
- محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، (دط)، 1984م، مج10.
- الملا عصام الإسفراييني، شرح منظومة الألغاز النحوية، تحقيق: علي حسن البواب، مكتبة الثقافية الدينية، بور سعيد، الظاهر (دط)، 1419هـ/ 2000م.
- المنذري، مختصر صحيح مسلم، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط6، 1407هـ/ 1987م.
- النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، المطبعة المصرية بالأزهر،ط1، 1347هـ/ 1929م.
- ابن يعيش، شرح المفصل، صححه وعلق عليه جماعة من العلماء بعد مراجعته على أصول خطية بمعرفة مشيخة الأزهر المعمور، إدارة الطباعة المنيرية بمصر، شارع الكحكيين رقم01، (دط)،(دت)، مج5.